# فرائِدُ المواهِبِ اللدُنِّيّة
# في مولِدِ خَيرِ البَرِيّة ﷺ

للعلاَّمة الجليل
مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا
رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أفْتَتِحُ الكلام باسمِ الله المُتَّصِفِ بالصِّفاتِ الأقدسِيَّةِ، مُقْتَدِياً بالكتابِ الكريمِ فإنه صِراطُ النجاحِ والنَّجاة.

وأحْمَدُهُ سبحانه وتعالى حمْداً يُوَافي نِعَمَهُ الوَفِيَّةِ، ويُكافِىءُ مَزِيدَهُ الوافِرَ مثلما يُحِبُّهُ ويَرْضاه.

وأُصلِّي وأُسلِّم على سيدنا محمَّدٍ خيرِ البريَّة، وعلى آله وأصحابه والتابعين المُهْتَدِين بِهُدَاه.

وبعدُ: فهذه فرائِد من خزائِنِ المواهِبِ اللدُنيَّةِ، في شرَفِ مولِدِ مَنْ تحَلَّى جِيدُ هذا الوجود بحُلاهُ.

وهو أشْرَفُ الخَلْقِ الذي جاءَ بكلمةِ الحق الحقيقيَّة، وفَاهَ بالصدْقِ فطُوبى لمن اقتدى به واقتفاه.

حامِلُ لِوَاءِ الحمدِ في الحشرِ، صاحبُ الشفاعَةِ العُمُومِيَّة، حين يلْجَأُ الناس إليه فلا يجدون لها سواه.

خاتَمُ النَّبِيِّين والمُرْسَلِين المُؤَيَّدُ بالمُعْجِزَاتِ الإلٰهِيَّةِ، أحمدُ الحامدين والمحمودين حبيب الله تعالى ومُصْطفاه.

النبيُّ الأُمِّيُّ المُختار مِنْ خَيْرِ أُسْرَةٍ قُرَشِيَّة، التَّقِيُّ النَّقِيُّ المُخْلِصُ لله في عبادته وتقواه.

البشيرُ النَّذِيرُ الدَّاعي إلى الله بإذْنِ حضْرَتِهِ العَلِيَّةِ، السِّراجُ المُنِيرُ الذي قبَسَ الشرقُ والغَرْبُ من ضوْءِ سَنَاه.

الناصر لله بإظهارِ دينِهِ والإقرار له بالوحدانِيَّة، المنصورُ في الدنيا والآخِرَةِ بظهور مَزِيَّتِهِ وصِدْقِ دَعْوَاه.

صاحِبُ الوسيلَةِ والفضيلة المُنَزَّهُ عن النَّقائِصِ البشرِيَّة، ألأمِينُ المأمُونُ على ما أسرَّهُ الله إليه وأوْحَاه.

السيِّدُ المتواضِعُ المُتَحقِقُ بأعلى رُتَب العبودية، الحرِيصُ على هِدايَةِ عِبادِ مولاهُ لشغفِهِ بحُبِّ مولاهُ.

محمَّد بنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِبِ سيِّدِ القبائِلِ العربية، المُنتسِبُ لِمَعَدٍّ بن عدنانَ سليلِ إسماعيلَ ابنِ خليلِ الله.

ألَّذي أثْنَى الله تعالى عليه في الكتب السماويَّة، ومدَحَ الذين معه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

الذي قال في كتبِهِ لأهل الكتابِ وقيْصَرِ الدولة الرُّمانيَّة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٤].

الذي أعْلَى الله على السَّبْعِ الطِّباقِ رُقِيَّهُ، حتى انتهى إلى سِدْرَةِ المنتهى ورأى من آياتِ ربِّهِ ما رآه.

الذي لولاه لما اهتديْنَا لأقْوَمِ الطُّرُقِ السَّوِيَّةِ، ولولاه لما عَرَفنا الله تعالى ولا عبدناه.

الذي اقْتَدَى بِهُدَى الأنبياءِ الكِرام وأحيا سُنَنَهُمُ السَّنِيَّة، وجاهَدَ في سبِيلِ الله لإعلاءِ كلمة الله.

فهو مُنَزَّهٌ عن طَلَبِ المُلْكِ وقَصْدِ المَنْفَعَةِ الشخصيَّةِ، فما قصَدَ في جهادِهِ إلاَّ الله وما عَبَدَ إلاَّ إيَّاه.

صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ما تُلِيَتْ سِيرَتُهُ النبوِيَّة، وأنْعَشَ ذِكْرُهُ الطَّيِّبُ كُلَّ قلْبٍ يَشْتاقُهُ ويَهْوَاه.

## فصل في ولادة النبي ﷺ

وُلِدَ ﷺ بمكَّة ونشأ في أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، صادِقَ القَوْلِ صالِحَ العمَلِ فرِيداً في محاسِنِهِ ومزاياه.

شبَّ شريفاً عفيفاً مُتَحَلِّياً بالصفات الكمالية، مطبوعاً على الخَيْرِ مُوَحِّداً وقومُهُ مُشْرِكون بالله.

وكان يعبُدُ الله تعالى على مِلَّةِ إبراهيم الحنيفيَّة، وبالتَّفَكُّرِ في خَلْقِ السماوات والأرض وبهذا يَعْرِفُ العبدُ مولاه.

ولهذا كان يُحِبُّ العُزْلَةَ والانفراد ويَكْرَهُ عمَلَ الجاهِلِيَّةِ، ويتَمَنَّى نجاةَ العالَمِ مِنَ الشَّرِّ الذي تولاَّه.

أدَبٌ إلٰهِيٌّ به امْتازَ أُمِّيٌّ عربيٌّ لم يَتَرَبَّ بمدرسةٍ عِلْمِيَّة، وفاقَ العالَمِينَ مع يُتْمٍ فقد فيه أُمَّهُ وأباه.

تولَّى الله تعالى تربيته وطهَّرَهُ من دَنَسِ الوَثَنِيَّة، فما عَظَّمَ وَثَناً للجاهلية، ولا صنماً عَبَدَ مِنْ دُونِ الله.

هكذا كان في عهد شبابه متمتِّعاً بكمالِ الحُرِّيَّة، مُستقِلاً ومُسْتَقِيماً وهكذا كان في عهْدِ صِبَاه.

ولمَّا بلغ أربعين سنةً جاءَهُ جبريل بِوَحْي ربِّ البَرِيَّةِ، قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العَلق: الآية ١] وأخبره أنه نَبِيُّ الله.

ثمَّ أمَرَهُ الله بإنذارِ قوْمِهِ فقامَ بِهِمَّةٍ عَلِيَّةٍ، وقال: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلاَّ الله».

وقال: «اعبدوا الله وحده لتفوزوا بالسعادة الأبديَّة»، وقال: «اترُكُوا ما يقول آباؤُكُمْ»، فعادَوْهُ أشدَّ المُعادَاة.

وأغْرَوا به سُفهاءَهُم فقَذَفُوا بالحِجَارَةِ وواجَهُوهُ بالأذِيَّةِ، وتجاوزوا الحدَّ في ظُلمِ كُلِّ مَنْ آمَنَ به ووالاه.

ثم أجْمَعُوا على قتله ليُطْفِئُوا نور شريعته الإلٰهيَّة، فأبى الله إلاَّ أن يُتِمَّ نورَهُ ويَحْفَظَ عليه ما أوْلاه.

وأمَرَهُ عند ذلك بالخروج من مكَّة فهاجر إلى المدينة البَهِيَّة، وأقام فيها موفُورَ الكرامة إلى أن حضَرَتْهُ الوفاة.

قام وحده ودعا إلى الله وليس له عصَبِيَّةٌ دِينِيَّةٌ، ولا مالٌ ولا جندٌ وإنما أُيِّدَ بجند مولاه.

وتَلاَ القُرْآن فبهَرَ العرب الفُصحاءَ بآياتِهِ الرَّبانِيَّة، وتَحَدَّى به البُلغَاءَ فعَجَزُوا عن الإتيان بمِثْلِ مَبْنَاهُ ومعناه.

ولو استطاعوا أن يأتوا بمثله ويدحَضُوا حُجَجَهُ القويَّة، لما اختاروا قِتال مَنْ لقَّبُوهُ بالأمين لإحسانه وحُسْناه.

جَهِلَ قومُهُ عليه فأغضَى حِلْماً والحِلْمُ فيه سَجِيَّةٌ، وجَفَوْهُ والجِذْعُ حنَّ إليه حين مُفارَقَتِهِ إيَّاه.

وعرَفَهُ الأحبارُ فأنْكَرُوه وكيف لا يكونُ رسولَ الله ونبِيَّهُ، وبه بشَّرَ الإنجيل وصرَّحَ بجلالَةِ قَدْرِهِ الزَّبُورُ والتَّوراة؟!.

صلَّى الله تعالى وسلَّم على ذاتِهِ المُقدَّسَةِ النَّقِيَّة، وزادَ فَضْلَهُ وعُلاَهُ وأعَزَّ دِينَهُ القَوِيمَ وقوَّاه.

## فصل في قدومه ﷺ إلى المدينة المنورة

ولمَّا قَدِمَ المدينة المُنَوَّرَة، عليه أفضل صلاةٍ وتحية، تلقَّاهُ الأنصارُ الأبرار فَرِحِينَ بقُدُومه وأكْرَمُوا مَثْوَاه.

ثم تتابَعَ نُزُولُ الوَحْيِ عليه بالآياتِ القُرْآنِيَّةِ، ونالَ ما كان يَرْجُوهُ من صلاحِ العالَمِ ويتمَنَّاه.

وآخَى بين المهاجرين والأنصار فيا لها من أُخُوَّة دِينِيَّةٍ، ويا لها من عَصَبِيَّةٍ بها بلَغَ المؤمنون به من العِزِّ أسْمَاه.

ودخل الناسُ في دينِ الله أفواجاً من كُلِّ قبيلَةٍ عربيَّة، ونصَرُوهُ فنُصِرُوا وما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ الله.

وبعدَ أن أدَّى رِسالَةَ رَبِّهِ فارَقَ الدُّنْيا الدَّنِيَّة، وقد خُيِّرَ فاختارَ الآخِرَةَ حُبّاً بلِقاءِ مَوْلاه.

ثمَّ بعد وفاته قام أصحابه بنشر دعوتِهِ الإسلامية، ودعوا إلى العمل بالشرْعِ الذي شَرَعَهُ الله وارتضاه.

واعْتَصَموا بحبلِ الله ففتحوا البلاد وسَاسُوا العِباد بسياسَةٍ شرعِيَّةٍ، حُفِظَتْ بها الحقوقُ وما حُفِظَتْ إلاَّ بشرْعِ رسولِ الله.

سيِّدِ الخَلْقِ الذي جاءَ بأجَلِّ مكارِمِ الأخلاق النبويَّة، وكان خُلُقُهُ القُرْآن فما تأدَّبَ إلاَّ بآدابِهِ ووصاياه.

فيا أيُّها الناس كُلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن الرَّعِيَّةِ، فأدِّبُوا أوْلادَكُمْ بالآدابِ الصحيحة وهي آدابُ كِتابِ الله.

وعَلِّمُوهُم ما يجب على المُكَلَّفِينَ من الأمُورِ الدِّينِيَّة والدُّنْيَوية، فالسَّعيدُ في الدُّنيا والآخِرَةِ مَنْ عَمِلَ لدِينِهِ ودُنْياه.

واعْلَمُوا أنَّ نبِيَّنَا صلَى الله تعالى وسلَّم على ذاتِهِ الزَّكِيَّة، كان إذا غضِبَ لا يَغْضَبُ لنفسه وإنَّما يغضبُ لله.

وكان راغِباً في الآخِرَةِ مُعْرِضاً عن الدنيا بالكُلِّيَّةِ، صادِعاً لأمر الله عزَّ وجلَّ آمِراً بالعَدْلِ والمُساوَاه.

ناهِياً عن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ وكُلِّ ما يَضُرُّ بالهَيْئَةِ الاجتماعِيَّة، أو النفسِ أو المالِ أو العقلِ الذي زيَّنَ الله به الإنسان وحَلاَّه.

وكان يُجِيبُ دعوة الحُرّ والعبد ويقبَلُ الهدية، ويُكْرِمِ الفقراء والمساكين ويُكَافِيءُ مَنْ أهْدَاه.

وكان يأمُرُ بإكرام الأيتام والإحسان إليهم بالعَطِيَّةِ، ويَحُضُّ على الصِّدْقِ والعفاف وصِلَةِ الأرحامِ والصلاه.

وكان يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بالمُصافَحَةِ بعدَ التَّحِيَّةِ، ويجُودُ بالكثِيرِ، فكَمْ باتَ طاوِياً وكَمْ جادَ بما ملَكَتْ يداه.

وكان أعْظَمَ مَهِيبٍ في النُّفُوسِ لما فيه من الصِّفاتِ الجلالِيَّة، وكان سَوِيَّ الخَلْقِ جمِيلَ الصُّورة فسُبحان مَنْ خلقَهُ وسَوَّاه.

صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى أُسْرتِهِ الهاشِمِيَّة، وأصحابه الذين بايعُوهُ على التوحيد الخالِصِ لله.

وبالجملة: فهو ﷺ الذي هذَّبَ الناس بأقواله وأفعاله الرَّضِيَّة، وأخرج الناس من ظُلُماتِ الجَهْلِ بما أمْلاهُ من العلْمِ وأبْدَاه.

وعلَّمَ الناس أنَّ الأعمال الصالحة لا تصِحُّ إلاَّ بالنِّيَّةِ، فقال: «إنما الأعمال بالنِيَّاتِ وإنما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَاه»(١).

وقال في إرشاد الناس إلى أفْضَلِ الأعمالِ الخيريَّة: «خيرُكُمْ مَنْ لَمْ يترُكْ دُنْياهُ لآخِرَتِهِ ولا آخِرَتَهُ لدُنْيَاه»(٢).

وقال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دعا إلى عَصَبِيَّةٍ»(٣)، وقال: «لا فَضْلَ لعَرَبِيٍّ على أعجمِيٍّ إلاَّ بتَقْوَاه»(٤).

## فصل في بشائر مولده ﷺ

وفي ليلةِ مولِدِ هذا النبيِّ الكريم خَمَدَتْ نيرانُ المعابِدِ الفارِسِيَّة، وتزلْزَلَ إيوَانُ كِسْرَى فتدَاعَى وهَوَتْ شُرُفاتُ مَبْناه.

إيذَاناً بأنَّ دولة الشِّرْكِ تزُولُ بزَوَالِ الدولة الكِسْرَوِيَّةِ، وظُهُورِ دولةِ التوحيد أبَّد الله بناءَها وأعْلاه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي، حديث رقم (١) [١/ ٣] وأبو داود في سننه، باب فيما عنى به الطلاق والنيات، حديث رقم (٢٢٠١) [٢/ ٢٦٢]. ورواه غيرهما.

(٢) رواه الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال، حديث رقم (٢١٨٣) [٧/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥].

(٣) رواه أبو داود في سننه، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه، حديث رقم (٥١٢١) [٤/ ٣٣٢] ورواه غيره.

(٤) رواه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٣٥٣٦) [٥/ ٤١١] وابن المبارك في مسنده حديث رقم (٢٣٩) [١/ ١٤٦ ـ ١٤٧]. ورواه غيرهما.

ورأت أُمُّهُ ذلك النُورَ الذي أضاءَتْ له القُصُورُ الشَّامِيَّة، إشارةً إلى أنَّ الإسلام يتولّى الشام ويَغْلِبُ مَنْ عانَدَهُ وعاداه.

ولمَّا حَمَلَتْ به كانت قريشٌ في جَدْبٍ عَمَّ الأرجاءَ الحِجازيَّة، فأخْصَبَتِ الأرْضُ وغَدَا الناسُ بأرْغَدِ عَيْشٍ وأهْنَاه.

ثم أقبلَ شهرُ رَبِيعِ الأوَّلِ بطوالِعِهِ الأسعديَّة، وبَدَا هِلالُهُ في سماءِ الوجودِ فبهَرَ الوجود سَنَاه.

ولمَّا تمَّ لآمِنَةَ مِنْ حَمْلِهَا تسعةُ أشْهُرٍ قمريَّةٍ، ولَدَتْ أكْمَلَ الخَلْقِ خاتَمَ أنبياءِ الله[1]. (القيام).

وُلِدَ ﷺ مُعْتَمِداً على يديه رافِعاً رأسهُ إلى السماء العَلِيَّةِ، وفي ذلك إشارة إلى أنه يَعْلُو ولا يُسَامَى في عُلاَه.

وكيف يُسَامَى والله أرسله رحمةً للعالمين بالكُلِّيَّة، وخصَّهُ من الفضائِلِ والتَّكْرِيمِ بما لم يكن لسِوَاه.

فنحمدُكَ أجلَّ الحَمْدِ على ما أنْعَمْتَ يا رَبَّ البَرِيَّةِ، ونُثْنِي أكْمَلَ الثَّنَاءِ على ذاتِكَ المُنَزَّهَةِ عنِ النَّظائِرِ والأشْباه.

ونسألُكَ أن تُنَوِّر قلوبنا بمعرفتك وتُجَمِّلنا بالأعمالِ المَرْضِيَّةِ، وتَرْزُقَنا حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ أحَبَّكَ وتُوَفِّقَنَا لما تُحِبُّهُ وترضاه.

ربَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا فاعْفُ عنَّا وعافِنَا مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وارْحَمْنا يا مَنْ وسِعَتْ رحمته من أطاعَهُ وعصاه.

وأغْنِنَا بفَضْلِكَ عمَّنْ سِوَاكَ يا باسِطَ اليَدَيْنِ بالعَطِيَّةِ، وأنِلْنا يا أكْرَمَ الأكْرَمِينَ ما نَرْجُوهُ من رِضاكَ ونتمَنَّاه.

وزِدْ في شَرَفِ نبِيِّنا وبارِكْ عليه بصلاةٍ سَرْمدِيَّةٍ، وسلامٍ يتوالى ويدُومُ إلى أن يَبْلُغَ الدَّهْرُ مُنْتَهاه.

---

(١) بعد هذه الجملة يقف المحتفلون بمولده ﷺ حباً وتعظيماً وإجلالاً له ﷺ، ثم يجلسوا ويتابعوا قراءة قصة المولد أو ما تبقى من سيرته ﷺ.